

تصحيح فهم حديث عمران بيت المقدس خراب يثرب

نص الحديث :

عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : عُمرانُ بيت المقدس خرابٌ يثربُ، وخرابُ يثربِ خروجُ الملحمةِ، وخروجُ الملحمةِ فتحُ القُسطنطينيةِ، وفتحُ القُسطنطينيةِ خروجُ الدجالِ، ثمَّ ضربَ بيده على فخذِ الذي حدّثه أو مكبَّيه، ثمَّ قال: إنَّ هذا الحقُّ كما أتكَ ها هنا. – أبو دا 4294 وأحمد باختلاف يسير 22023]

أولا : الفهم السقيم الخاطي للحديث :

(عُمرانُ بيت المقدس) أي : عمارته بكثرة الرجال والعقار والمال . (خراب يثرب) : أي : سبب خراب المدينة .

[أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بكثير من علامات الساعة في آخر الزمان؛ جزصاً علي أمته وحنأ لها على اتباع الحق وأهله.وفي هذا الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "عُمرانُ بيت المقدس"، أي: أن يُعمرَ بيت المقدس؛ بكثرة الناس فيه، وانتعاش التجارة والمال، "خراب يثرب"، أي: المدينة دار الهجرة؛ والمعنى أن عُمران بيت المقدس علامة ظاهرة يُنتظرُ بعدها خراب المدينة النبوية، وقيل: يتسبب في خراب المدينة، أو أن ذلك وقت خراب المدينة، "وخراب يثرب خروج الملحمة"، أي: إن خروج الملحمة علامة ظاهرة يُنتظرُ بعدها، .. – الدرر السنية لعلي بن عبد القادر السقاف] .

[وقال القاري : أي وقت خراب المدينة . قيل لأن عمراناه باستيلاء الكفار .

وقال الأردبيلي في الأزهار : قال بعض الشارحين المراد بعمران بيت المقدس عمراناه بعد خرابه فإنه يخرب في آخر الزمان ثم يعمره الكفار ، والأصح أن المراد بالعمران الكمال في العمارة أي عمران بيت المقدس كاملا مجاوزا عن الحد وقت خراب يثرب ، فإن بيت المقدس لا يخرب (وخراب يثرب خروج الملحمة) : أي ظهور الحرب العظيم .

قال ابن الملك : بين أهل الشام والروم ، والظاهر أنه يكون بين تاتار والشام . قال القاري : الأظهر هو الأول (وخروج الملحمة إلخ) : قال القاري نقلا عن الأشرف : لما كان بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه وكثرة عمارتهم فيها أماره مستعقبه بخراب يثرب وهو أماره مستعقبه بخروج الملحمة وهو أماره مستعقبه بفتح قسطنطينية ، وهو أماره مستعقبه بخروج الدجال ، جعل النبي صلى الله عليه وسلم

كل واحد عين ما بعده وعبر به عنه. – عون المعبود في شرح سنن أبي داود ج11 ص 312 باب في امارات الملاحم] .

[وَقَالَ الْقَارِي : أَيُّ وَقْتِ خَرَابِ الْمَدِينَةِ . ويحتمل أن يكون المراد بعمارة بيت المقدس نزول الخلافة فيه في آخر الزمان] .

وفي كتاب التاج الجامع للأصول : [عمران بيت المقدس خراب يثرب :

(1) عمران بيت المقدس بالرجال والعقار والأموال أي وقت عمرانه تخرب يثرب أي المدينة المنورة صلى الله على ساكنها وسلم.
(٢) وقيل المراد بعمران بيت المقدس أي بعد خرابه في آخر الزمان فإنه بعمره الكفار وتخرب يثرب، أو المراد بعمرانه ماله في العمارة. – كتاب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم باب الملاحم – عمران بيت المقدس ج5 ص 328] .

ثانيا : تصحيح فهم العمران والخراب بميزان القرآن الكريم وسنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) :

إذا تصفحنا كتاب الله تعالى سنجد أن الخراب والعمار يكون الميزان فيها هو الدار الآخرة وذلك لأن الدنيا ممر والآخرة مستقر والخراب والخسران لمن ترك العمل الصالح فخرّب بذلك أخراه ودنياه معاً ومن هنا يأتي الخراب في كتاب الله على هدم بيوت الله وجعلها خراب بلا مصلين يأملون بالمعروف وينهون عن المنكر فيه وترك الولاية له تعالى ولرسوله وأهل بيته عليهم السلام ثم يدعون في تلك المساجد لحكام فجره وولاية فسقة هنا تكون المساجد لست لله وقد خربت بعد أن تتحول إلى مساجد ضرار حتى ولو كانت مزخرفة مشيدة على أجما ما يكون للناظرين قال تعالى { ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم – البقرة 114 }

ولذلك ورد في الحديث أن الخراب خراب الدين وليس عمارة العمانر وتشبيد البناء كما ذكر علماء السلف : [عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا يَبْقَى مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ عَامِرَةٌ وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، عُلَمَاؤُهُمْ شَرٌّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مَنْ عِنْدَهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ وَفِيهِمْ تَعَوُّدٌ . أورده ابن عدي في الكامل 227/4، & البيهقي دون قوله : ومن القرآن إلا حرفه . وفيه زيادة، في شعب الإيمان 317/3 بسنده .]

وهنا تفرغ المساجد من الهدى ويتباهى الناس بتشبيد البناء وعمران الحياة الدنيا وهو تخريب للأخرة [روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله قال: (لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد)] .

والتخريب يبدأ بتخريب القلوب فيعمرون الدنيا بالبناء والتشييد ويخربون أхраهم بانتشار المعازف والدفوف وانتشار ولد الزنا وتصدر زعامة كل قبيلة منافقوها كما في حديث ابن مسعود الذين يبين أن تعمير الدنيا وترك العمل الصالح فيها تخريب لأخراهم

[عَنْ عَتِيٍّ السَّعْدِيِّ ، قَالَ عَتِيٌّ: (خَرَجْتُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى قَدِمْتُ الْكُوفَةَ ، فَإِذَا أَنَا بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلَ الْكُوفَةِ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَأُرْسِدْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ فِي مَسْجِدِهَا الْأَعْظَمِ فَاتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي جِئْتُ أَضْرِبُ إِلَيْكَ اللَّتْمِسُ مِنْكَ عِلْمًا ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ بَعْدَكَ ، فَقَالَ لِي : مِمَّنَ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ. قَالَ: مِمَّنَ؟ قُلْتُ: مِنْ هَذَا الْحَيِّ مِنْ بَنِي سَعْدٍ. فَقَالَ لِي: يَا سَعْدِيُّ ، لِأَحَدِنَّ فِيكُمْ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى قَوْمٍ كَثِيرَةٌ أَمْوَالُهُمْ ، كَثِيرَةٌ شَوْكُهُمْ ، تُصِيبُ مِنْهُمْ مَالًا دَبْرًا أَوْ قَالَ: كَثِيرًا؟ قَالَ : " مَنْ هُمْ؟ " . قَالَ: هَذَا الْحَيُّ مِنْ بَنِي سَعْدٍ ، مِنْ أَهْلِ الرَّمَالِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: " مَهْ ، فَإِنَّ بَنِي سَعْدٍ عِنْدَ اللَّهِ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ " . سَلَّ يَا سَعْدِيُّ. قُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، هَلْ لِلسَّاعَةِ مِنْ عِلْمٍ تُعْرَفُ بِهِ السَّاعَةُ؟ قَالَ: وَكَانَ مُتَكِنًا فَاسْتَوَى جَالِسًا ، فَقَالَ: يَا سَعْدِيُّ ، سَأَلْتَنِي عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ لِلسَّاعَةِ مِنْ عِلْمٍ تُعْرَفُ بِهِ السَّاعَةُ؟ فَقَالَ: " نَعَمْ ، يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، إِنَّ لِلسَّاعَةِ أَغْلَامًا ، وَإِنَّ لِلسَّاعَةِ أَشْرَاطًا ، أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَغْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ يَكُونَ الْوَلَدُ غَيْظًا ، وَأَنْ يَكُونَ الْمَطَرُ قَيْظًا ، وَأَنْ يَفِيضَ الْأَشْرَافُ فَيُضَا. يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، إِنَّ مِنْ أَغْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ يُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ ، وَأَنْ يُخَوَّنَ الْأَمِينُ. يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، إِنَّ مِنْ أَغْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ تُوَاصَلَ الْأَطْبَاقُ ، وَأَنْ تُقَاطَعَ الْأَرْحَامُ. يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، إِنَّ مِنْ أَغْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ يَسُودَ كُلُّ قَبِيلَةٍ مُنَافِقُوهَا ، وَكُلُّ سُوقٍ فُجَّارُهَا. يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، إِنَّ مِنْ أَغْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ تُحَرَّفَ الْمَحَارِبُ ، وَأَنْ تُخْرَبَ الْقُلُوبُ. يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، إِنَّ مِنْ أَغْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ فِي الْقَبِيلَةِ أَدَلَّ مِنَ النَّفْدِ. يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، إِنَّ مِنْ أَغْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ يَكْتَفِيَ الرَّجَالُ بِالرِّجَالِ ، وَالتِّسَاءُ بِالتِّسَاءِ. يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، إِنَّ مِنْ أَغْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا مُلْكُ الصِّبْيَانِ ، وَمُؤَامَرَةُ التِّسَاءِ. يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، إِنَّ مِنْ أَغْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ تُكْتَفَى الْمَسَاجِدُ ، وَأَنْ تَعْلُو الْمَنَابِرُ. يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، إِنَّ مِنْ أَغْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ يَعْمَرَ خَرَابُ الدُّنْيَا ، وَيُخْرَبَ عُمَرَانُهَا. يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، إِنَّ مِنْ أَغْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ تَظْهَرَ الْمَعَازِفُ وَالْكَبْرُ ، وَشُرْبُ الْخُمُورِ. يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، إِنَّ مِنْ أَغْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ يَكْثُرَ أَوْلَادُ الرِّزَا » . قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَهُمْ مُسْلِمُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَالْفُرَّانُ بَيْنَ

ظَهَرَانِيَهُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَأَنْتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُطَلِّقُ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ ، ثُمَّ يَجْحَدُهَا طَلَاقَهَا ، فَيُقِيمُ عَلَى فَرْجِهَا ، فَهَمَّا زَانِيَانِ مَا أَقَامَا (. - أخرج الطبراني في "المعجم الكبير" (228/10) ، وفي "المعجم الأوسط" (4861) ، والشجري في "الأمالي" (2803)]

وبالتالي معنى الحديث هنا عمران بيت المقدس خراب يثرب يكون الإيمان والدين ببيت المقدس وهو ما صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قال في آخر الزمان يكون " وجهاد حول بيت المقدس "

[قال عبد الله بن الإمام أحمد: وجدت بخط أبي، ثم روى بسنده إلى أبي أمامة قال: قال صلى الله عليه وسلم : " لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله. وهم كذلك"، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: "ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس" وأخرجه أيضا الطبراني . قال الهيثمي في المجمع ورجاله ثقات] .

وحديث الدجال الذي حدد بقعة الإيمان في آخر الزمان ستكون شرق نهر الأردن [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يقاتل بقتلكم الدجال على نهر الأردن، أنتم شرقي النهر وهم غربيه، وما أدري أين الأردن – نهاية البداية والنهية لابن كثير] . وهنا وفقاً لميزان الفهم القرآني وما ذكره النبي صلى الله عليه وآله أن عمارة الدار الآخرة الآن ستكون حول بيت المقدس بين الجنوب اللبناني وغزة والضفة وشرق نهر الأردن وهذا الجهاد سيعقبه ملاحم . وهذا عن عمران بيت المقدس .

وأما عن خراب يثرب :

فقد عبث أعداء الأمة بمقدسات وبيوت للنبي وأهل بيته وصحابته الكرام قد هامت في المسفلة والمعلا وغيرها وفي غفلة من المسلمين حددها الحديث أن يثرب وهي المدينة بإسمها في الجاهلية كإشارة على أن الجاهلية ستعود إليها آخر الزمان عندما ينشرون بينهم الملاهي والخمر والمعازف والدفوف وتتصيب الأوثان .. إلخ الموبقات التي أهلك الله تعالى بها الأمم من قبل وذلك يحدث مع انتشار وأولاد الزنا وطلاب الحياة الدنيا وبناء العمارات الشاهقة التي قال فيها صلى الله عليه وآله [من علامات الساعة أن ترى الحفاة العراة رعاة الشاه يتناولون في البنيان .. الحديث] وفي حديث لأبي حذيفة بن اليمان أشار إلى جبال ما حول الكعبة المكرمة وقال [هاهنا يرتفع البنيان – مصنف ابن أبي شيبة] .

وبالتالي هذه العمارة في الجزيرة العربية ليست العمارة المقصودة في حديث النبي صلى الله عليه وآله بل هي مقدمة وإشارة على دخولهم في كيوان نحس يكون فيه هلاك الظالمين منهم وهذا ما ذكرته سورة فصلت حيث أنذرهم الله تعالى بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود عند قوله تعالى: { فإن أعرضوا فقل أأنذرتكم بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود – فصلت } .

وهذا العمران لخراب الدنيا والذي شغلهم عن العمل الصالح للأخرة يكون بوابة وبداية دخول العرب والمسلمين عصر الملاحم وهو ما تمر به الأمة العربية والإسلامية الآن وهي لا تشعر ولا تعلم عما يدور حولها إلا القليل وفي الحديث إشارة إلى حرب عربية كبرى مع تركيا لسفكها دماء العرب المسلمين بين العراق وسوريا طمعاً في توسع جغرافي تحت حجج شتى وحبسها مياه دجلة والفرات عن سوريا والعراق وذلك هو الفتح الثاني لتركيا إن لم تتبنى سياسة الولاية لكتاب ربها ورسوله وأهل بيته عليهم السلام والمسلمين وذلك المعنى المقصود من حديثه الشريف صلى الله عليه وآله: [عُمرانُ بيتِ المقدسِ خرابٌ يئُربُ، وخرابُ يئُربِ خروجُ المَلحَمَةِ، وخُروجُ المَلحَمَةِ فَتْحُ القُسطنطينيَّةِ، وفَتْحُ القُسطنطينيَّةِ خروجُ الدَّجَالِ، ثمَّ ضَرَبَ بيده على فخذِ الَّذي حدَّثه أو مَنكَبِيه، ثمَّ قال: إِنَّ هذا الحَقُّ كما أَنَّكَ ها هنا] .

هذا وبالله التوفيق وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

خالد محيي الدين الحليبي